لسان العرب

(تابع لما قبل)

وفي مادة (ق ح ل ـ س ٧ ـ ٨) « وتحمَّل وتقهَّل على البدل ليس من العبادة خاصةً » وهو كلامٌ لا معنى لهُ وصوابهُ « يَبِس من العبادة »

وفي مادة (ل ي ل ـ ص ١٢٩ س ٣ ـ ٤) « وقال الفرّآء ليلة كانت في الاصل لَيْلِيَة ولذلك صغِّرت لُيَيلة » والصواب « صُغِّرت لُيَيلِيَة » اي بزيادة يآء بعد اللام وهو مقتضى قولهِ « كانت في الاصل ليلية » . وقد كُرِّر هذا الغلط في الصفحة نفسها (س ٨ و ١٥)

وفي هذه الصفحة ايضاً (س ١٧) « حتى يقول كلُّ رآءٍ اذ رآهْ » وضُبط « رآه » هكذا برسم علامة المدّ فوق الالف فاختلّ وزن البيت وصوابهُ « اذ رَاهْ » على لغة من يسقط الهمزة من رأى والشعر من مشطور السريع ووزنهُ مستفعلن مستفعلن مفعولاتْ

وفيها (س ٢١) « والليل اللَيْن على البدل » والصواب تقديم « اللَين » كما يتضح من السياق بعد

وفي الصفحة التالية (س ١٨) « ويقال هما فرخهما » والصواب « هو فرخهما »

وفي مادة (ن ز ل ـ ص ١٨٠ س ٤) « ونزل من علوٍّ الى سُفل » ضُبط علوّ بضمتين وتشديد الواو وهو مصدر علا وليس بالمقصود هنا وصوابهُ « من عُلْوٍ » بضم فسكون وهو اعلى المكان نقيض « سُفْل »

وفي مادة (ا د م ص ٢٧٥ س ١٣) « فاما الأَدِيم والأَفق فذكَر الا

ان يُقصَد قصد الجلود والأَدَمة » . رُوي « الاديم » هكذا على فعيل وصوابهُ « الأَدَم » على فَعَل بفتحتين وهو اسم جمع للأَديم مثل « الأَفَق » في جمع أفيق . وقولهُ « فمذكَّر » حقهُ « فمذكَّران » لان كلاً منهما مقصود بالذات.

وقولهُ بعد ذلك « قصد الجلود والأَدمة » ضُبط « الادمة » بفتح الهمزة والدال وصوابهُ « الآدِمة » بمد الهمزة وكسر الدل وهو جمع أديم . وتحرير المعنى في هذا الموضع ان كلاً من الأَدَم والأَفَق يجوز فيهِ التذكير والتأنيث فالتذكير باعتبار اللفظ لانهُ اسمٌ للجمع لا جمع في المذهب الصحيح والتأنيث باعتبار المعنى لان كلاً منهما في معنى الجمع وان كان لفظهُ مفرداً وهذا معنى قولهِ « الا ان يُقصَد قصد الجلود والآدمة »

وفي مادة (ر ز م ـ ص ١٣٠ س ٨) « وناقةٌ رازم ذات رِزام » وضُبط « رزام » بكسر اولهِ وصوابهُ بالضم وهو مصدر « رَزَم » المذكور في اوائل الصفحة

وفيها (س ١٤) « والرُزَم الذي قد رَزِم مكانهُ » وضُبط « رزم » بكسر الزاي والصواب فتحها

وأُنشد بعد ذلك قول الشاعر

« أيا بني عبد مناف الرزامْ　　انتم حُماةٌ وابوكُم حامْ »

وضُبط « مناف » بكسر الفآء والوجه فتحها لانهُ لما مُنع التنوين لاجل الوزن تبعهُ الكسر ضرورةً فوجب جرّهُ بالفتحة الحاقاً لهُ بما لا ينصرف على حد قول الآخر وهو من شواهد النحاة

طلبَ الازارق بالكتائب اذ هوت　　بشبيبَ غائلةُ النفوس غَدُورُ

وفي مادة (ق د م ـ ص ٣٦٧ س ٢٢) « ومقدِّم العين ما ولي الانف كمؤخِّرها ما ولي الصدغ » ضُبط كلٌّ من « مقدم العين » و« مؤخرها » بالتشديد مع الكسر وصوابهما «مُقْدِم» و« مؤْخِر » بالتخفيف وزان مُحْسِن

وجآء بعد ذلك « وقال ابو عُبَيد هو مقدَّم العين وقال بعض المحررين لم يُسمَع المقدَّم الا في مقدَّم العين » وضُبط لفظ « مقدم » في كل ذلك بالتشديد مع الفتح وصواب العبارة « وقال ابو عُبَيد هو مُقْدِم العين (بالكسر مخففاً) وقال بعض المحررين لم يُسمَع المُقْدِم (بالكسر والتخفيف ايضاً) الا في مقدَّم العين . وعلى هذا يَمشي قولهُ بعد ذلك « لم يُسمع في نقيضهِ المؤخر الا مؤخَّر العين » وقد تُرِكَ لفظ « المؤخر » عارياً عن الضبط وحقهُ « المُؤْخِر » وزان مُحْسِن ايضاً

وقد ذكر المصنف في مادة (ا خ ر) ما حرفيتهُ « ومؤخَّر كل شيء بالتشديد خلاف مقدَّمهِ يقال ضرب مقدَّم رأسهِ ومؤخَّرَهُ وآخرةُ العين ومُؤْخِرها ومُؤْخِرتها ما ولي اللحاظ ولا يقال كذلك الا في مؤخَّر العين ومُؤْخِرُ العين مثل مؤمن الذي يلي الصدغ ومُقْدِمها الذي يلي الانف . . ومُؤْخِر العين ومُقْدِمها جآءا في العين بالتخفيف خاصةً » . . اه

وفي مادة (ق ط م ـ ص ٣٩١ س ٤) « ذوى وجهَهُ وقطَّب » رُسِم « ذوى » بالذال ولا معنى لهُ هنا وصوابهُ « زَوَى » بالزاي اي قبضهُ

وفي مادة (ل ه م ـ ص ٢٩ س ٥) « والتهم البعير ما في الضرع استوفاهُ » وصوابهُ « التهم الفصيل »

وفي مادة (ن و م ـ ص ٧٩ س ١١ ـ ١٢) « تقول هو نِيم المرأة وهي نِيمةٌ » . رُوي هذا اللفظ الاخير هكذا بالتآء منوّنةً كأنهُ مؤنث نِيم والصواب « نِيمُهُ » بغير تآء مضافاً الى هآء الغائب وهو من باب فِعْل بالكسر بمعنى مُفاعِل على حدّ مِثل وشِبه وخِدن وخِلّ وما اشبه ذلك[1] وهي من الصيغ التي يستوي فيها المذكر والمؤنث

وفي مادة (ر د ن ـ ص ٣٧ اول الصفحة)

« وعمرةُ من سَرَوات النسآء تَنَفَّحُ بالمسك أردانها »

وضُبط « تنفح » بتشديد الفآء مفتوحةً مع فتح التآء اي تتنفَّح ولم تُحكَ هذه الصيغة من نفح والصواب « تَنْفَح » بالتخفيف كتمنع . وانما الجأ المصحح الى هذا انهُ جعل الهمزة من « النسآء » تابعةً للشطر الاول من البيت وحينئذٍ نقص الشطر الثاني حرفاً متحركاً من اوله فشدّد عين الفعل وفتح ما قبلها حتى استقام لهُ الوزن

وفي مادة (ش ن ن ـ ص ٨٨ س ٥) « الجبهة والجبيبان » هكذا في « الجبيبان » ببآءين وصوابهُ « الجبينان » بنون قبل الالف

وفي مادة (ظ ن ن ـ ص ١٤٣ س ٥) رُوي قول الشاعر

« لأُصبِحَنْ ظالماً حرباً رباعيةً فاْقعُدْ لها ودَعَنْ عنك الاظانينا »

وضُبط « لأُصبحن » بضم الهمزة وكسر البآء والصواب فتحهما من قولهم صَبَحهُ خيراً او شرًّا يَصبَحهُ صَبْحاً اذا جآءهُ بهِ صباحاً ومن ذلك قول الراجز

نحنُ صَبَحنا عامراً في دارها جُرداً تَعادَى طرَفَيْ نهارها

---

(١) راجع البيان صفحة ٤٥٢

وفيها (في اواخر الصفحة) أُنشد قول الراجز

« كالذئب وسط القُنَّهْ الأَ تَرَهْ تَظُنَّهْ »

ورُوي « القنَّه » بالقاف وهي اعلى الجبل ولا معنى لها هنا وصوابها « العُنَّه » بالعين وهي الحظيرة من الشجر تُحبَس فيها الغنم

وفي مادة (ع ن ن ـ ص ١٦٩ س ٢) ضُبط « القَطَامي » بفتح القاف وصوابهُ بضمها كما صرّح بهِ المؤلف في موضعهِ

وفي الصفحة نفسها (س ٤) ضُبط « الحرث بن عباد » بفتح العين من « عباد » وتشديد الباء بوزن شدَّاد وصوابهُ بالضم وتخفيف الباء .

قال مهلهل بن ربيعة يخاطب الحرث

لا تملَّ القتال يا ابن عُبادٍ صبّرِ النفس انني غير سالِ

وقال ايضاً

هتكتُ بهِ بيوت بني عُبادٍ وبعض القتل اشفى للصدورِ

وقال الفرزدق

ارتكِ نجوم الليل والشمس حيّةً كرامُ بنات الحرث بن عُبادِ

(ستأتي البقية)

الايمن والاعسر

هما الذي يعمل بيدهِ اليمنى والذي يعمل باليسرى وقد نقلنا في بعض اجزآء السنة الثالثة فصلاً في هذا المعنى لبعض علمآء منافع الاعضآء اثبت فيهِ ان كل واحدةٍ من هاتين الصفتين امرٌ فطريٌّ في الانسان ناشئٌ عن

تركيب البنية وانهُ لا سبيل الى تحويلهِ عن احداهما الى الاخرى ولا الى تصييرهِ أضبط اي عاملاً باليدين جميعاً . على ان هـذه المسئلة ما زالت موضع بحثٍ للعلمآء وعلى الخصوص في هـذه الأيام مع تكاثر وسائل التحقيق والاختبار الحسّي وقد وقفنا في احدى المجلات الحالية على فصلٍ آخر لبعض اكابر الباحثين لايخلو من فائدة علمية وعملية ولا سيما لارباب المدارس فلم نجد بأساً من العود على ذلك البدء قال ما تعريبهُ

نشر بنيامين فرنكلين لعهدهِ مقالةً اشار فيها على القائمين بتربية الناشئة ان يعوّدوهم العمل باليد اليسرى كاليمنى وذكر انهُ لا يرى سبباً لحرمانها تعاطي الاعمال وبالتالي اقتصر الانسان على شطرٍ واحد من هذين العضوين العاملين حالة كونهِ لا يؤمن ان يتعطل احياناً بسبب من الاسباب كأن يعرض لهُ حادثٌ من رثيةٍ اوكسر او شلل او غير ذلك من العوارض الكثيرة فيُحتاج الى استخدام الشطر الآخر والا فقد يفضي الامر الى تعطّل الشخص عن العمل بالمرّة

الا ان مشورة هـذا الرجل الكبير لم يعمل بها اهل وقتهِ ولا يزال الحال كذلك الى يومنا هذا فقد طالما عُنِّفنا في زمن الحداثة على استخدام اليد اليُسرَى وأُجبرنا على العمل باليمنى لغير داعٍ ولا موجب سوى متابعة العادة واذا استقرينا آحاد الانسان في الارض كلها وجدنا معظمهم يستعملون اليد اليمنى ولا سبب لذلك الا التربية والإرث

وقد اشتغل بهذه المسئلة احد علمآء الالمان من لَيبسك فقرَّر ان لليَمن والعَسَر سبباً طبيعياً وهو زيادة ضغط الدم في احد جانبي الرأس .

وقد تبين لهُ من فحص الدورة الشريانية واتجاه الاوعية الدموية ان هذه الزيادة في ضغط الدم ينبغي ان تكون في اكثر الناس في الجانب الايسر من الرأس فان هذا الجانب اشدّ قبولاً للتهيج واكثر تغذياً بحيث ان الشطر الايسر من الدماغ هو على الاعمّ اثقل قليلاً من الشطر الايمن . ولما كان كلٌّ من شطري الدماغ يتسلط على الشطر المقابل لهُ من سائر الجسم كان الشطر الايمن من الجسم اكثر قبولاً للتهيج والحيوية وبعكس ذلك الشطر الايسر

ومهما تكن منزلة هذا القول من اليقين اذ هو مما يصعب فحصهُ فمما لا ريب فيهِ ان الذين يعملون باليد اليمنى لا يقلون عن ٩٨ في المئة من مجموع البشر كما ثبت من عدة احصآءات . وعلى ذلك فالسواد الاعظم من البشر لا يتكافأ فيهم شطرا الجسم الا في الظاهر فقط لان ترك الاستعمال قد أدّى الى ضعف احد الشطرين وضؤولتهِ . وقد استقرى المسيو جُودِّين سنة ١٩٠٠ هذا الاختلال في تكافؤ الاعضآء الشفعية في الجسم فوجد بعد التعديل ان اليد اليمنى اغلظ من اليسرى بنصف سنتيمتر وبخلاف ذلك الطرفان السفليان فانهُ وجد ان الرجل اليسرى تزيد عند مستغلَظ حَماة الساق (وهي العَضَلَة المنتبرة في وسطها) مثل ذلك على الرجل اليمنى

ثم وجد ان اليد اليمنى من لَدُن الرُسغ الى الكتف اطول من اليسرى بسنتيمتر ووجد الرجلين على خلاف ذلك فان اليسرى منهما من الارض الى اعلى الفخذ اطول من اليمنى بسنتيمتر ايضاً فيترتب على هذا ان جميع الشطر الايسر من الجسم اعلى من الشطر الايمن وان طرف الكتف

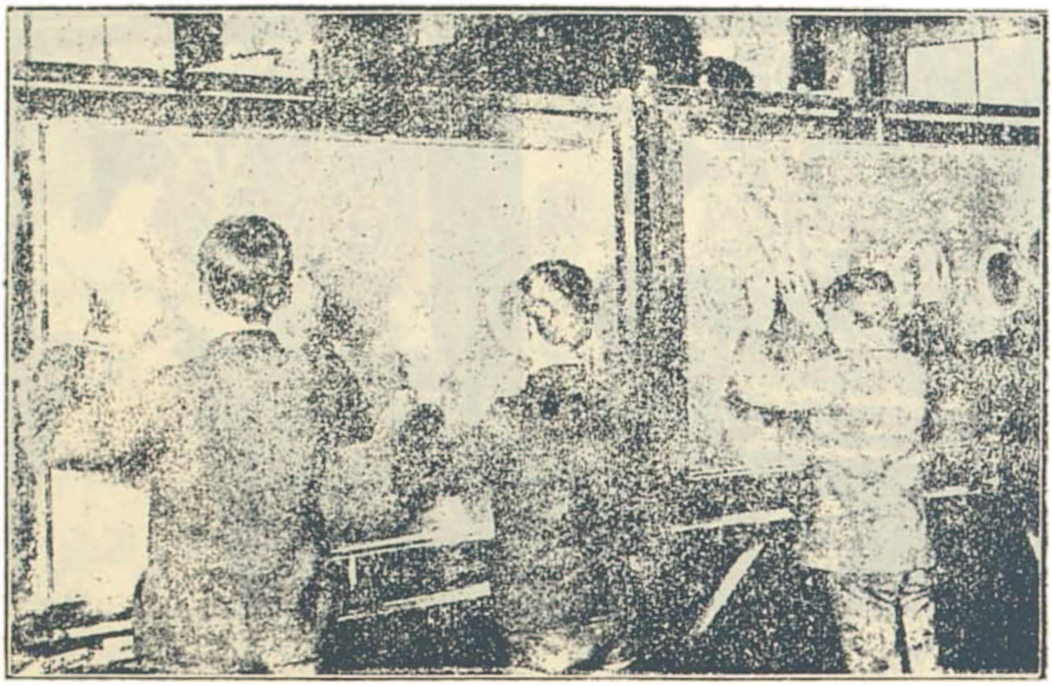
اليسرى يعلو عن اليمنى بسنتيمتر . ومما ظهر لهُ ايضاً ان الاذنين لا تخلوان من مثل ذلك فانهُ اذا قيس محورها الاطول وهو العمودي وُجد انهُ في الاذن اليسرى يزيد نصف سنتيمتر عن اليمنى . وهذا التفاوت بين شطري الجسم يكون في الايمن والاعسر جميعاً الا انهُ في الاعسر على عكس ما ذُكر

وقد وُجد ايضاً مثل هذا الاختلاف في وزن العظام حتى عظام الرأس فان ثقلها يختلف بين جانبٍ وآخر . على ان اليَمَن والعَسَر لا يختصان باليد ولكنهما يشملان جميع الاعضاء الشفعية فالايمن يرى بعينيهِ جميعاً ويسمع بأذنيهِ كذلك لكنهُ عند توجيه الحاسة ينظر ويصغي بالعين والاذن اليمنيين واذا مشى بدأ بالرجل اليمنى وبعكسهِ الاعسر فانهُ يستخدم الاعضاء اليسرى

وقد تقدم ان الانسان يكون ايمن او اعسر اما خلقةً واما بالعادة ويُعرَف ما كان كذلك خلقةً بان يوضع فوق رأس الطفل الصغير شيءٌ فان كان اعسر مدَّ لأخذهِ اليد اليسرى او ايمن فاليمنى . والاعسر يجد صعوبةً في تعلم الكتابة باليمنى ويميل الى ان يكتب باليسرى لكنهُ اذا كتب يجعل الرسم مقلوباً كما لو نُظر الى الرسم المستقيم في المرآة او كما اذا قلبتَ الورقة المكتوب فيها واستشففتها في النور . وعلة ذلك امرٌ طبيعيٌّ ايضاً يعود الى حكم وظائف الاعضاء فان اليدين مخلوقتان على ان تكون حركاتهما متقابلة ودليلهُ انك اذا وقفت امام انسان وأشرت اشارةً بيدك اليمنى وأمرتهُ ان يقلدها قلّدها من غير انتباهٍ باليسرى بحيث لو نُظر الى

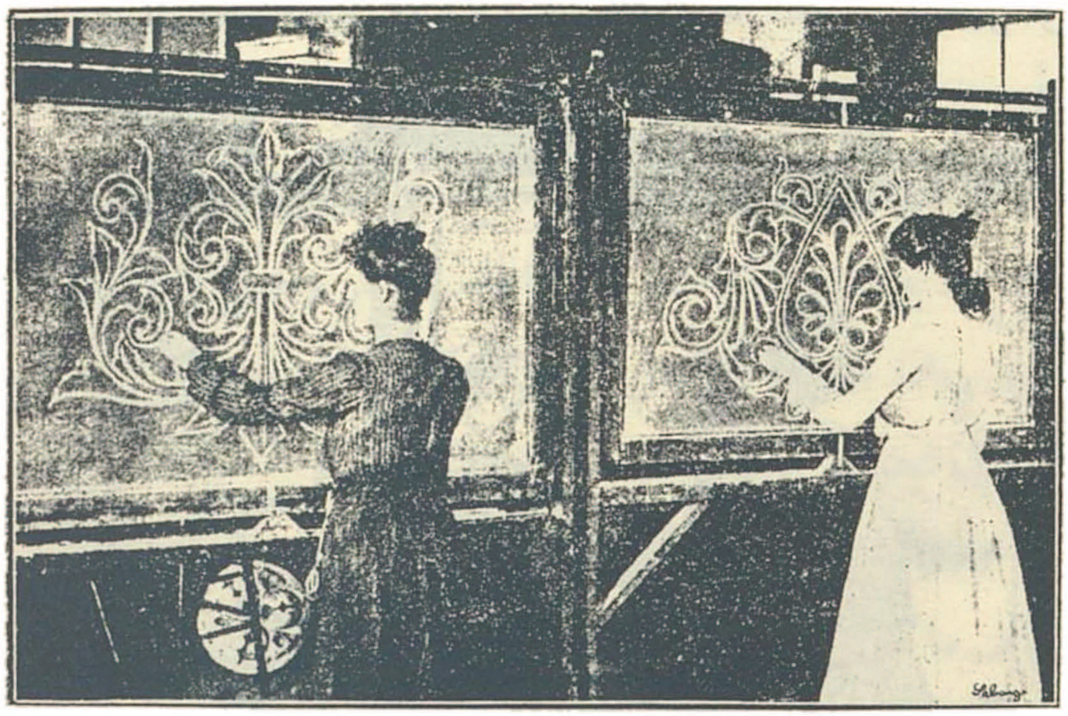
اشارته في المرآة كانت طبق اشارتك باليمنى . وكثيرون من العُسران يكتبون في الوقت الواحد باليدين جميعاً لكن يكون رسم اليد اليمنى مستقيماً ورسم اليسرى بالعكس كما لو نُظر الى الاول في المرآة وهذا مما لا يستطيعهُ الايمن لانهُ لم يتعود العمل باليسرى بخلاف الاعسر فانهُ يكتب باليمنى بالتربية والتعليم ويكتب باليسرى بالطبع والفطرة فتتوفر فيهِ المزيتان

الا ان هذا نفسهُ يمكن اكسابهُ للايمن اذا حُمِل من الصغر على



استخدام اليد اليسرى مع اليمنى . وقد تنبهوا الى ذلك في نواحي القُوج فامتحنوا في بعض المدارس استخدام اليدين معاً في الرسم فلم يخطئوا النجاح. وقد ابتدأوا ذلك بان يكلَّف المتعلم ان يرسم على لوحٍ اسود دائرتين متساويتين يرسمهما معاً بكلتا يديهِ على مثل ما ترى في الشكل امامك وهو منقولٌ عن صورةٍ شمسية وبتكرار المزاولة مع التدريج اوصلوا اولئك التلامذة الى ان يحكموا الرسم باليدين جميعاً

ومثل هذا يمكن اجراؤهُ في الحفر ايضاً كالنقش في الخشب والنحاس وغير ذلك فيكون في تمرين اليسرى على عمل اليمنى الحصول على ضعفي العمل . على ان اشتراك اليدين معاً قد يكون من الضروريات لاستحكام الصنعة وذلك في الرسوم المتقابلة التي انما يكون تمام حسنها باحكام التقابل حتى يكون احد الجانبين مقلوب الآخر كما ترى مثال ذلك في الشكل الثاني



وهو بالغٌ كمال الاتقان . وهذا ولا ريب اسهل جداً من ان يُرسَم احد الجانبين اولاً باليد اليمنى ثم يُتكلف رسم عكسهِ باليد نفسها كما تقدم بيانهُ فيكون العمل باليدين معاً اتمّ احكاماً فضلاً عما فيهِ من توفير الزمن

اذا تقرر ذلك فانَّا نشير على جميع المدارس ان تعتمد هذا النوع من التمرين ولا ينبغي لها ان تستخف بهِ لان كل امرٍ في التربية لهُ نصيبٌ من الاهمية ولا يخرج الرسم باليدين عن ذلك . اه

ديوان ابن مامية الرومي

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل رزق الله افندي عبود

(تابع لما في الجزء العاشر)

ومن روضيَّاتهِ قولهُ

نسيم الصبا حيَّا الندامى من الزهرِ ... براح الندى صرفاً فمالت من السكرِ
تنقَّش كفّ الغصن في الدوح عند ما ... تجلت عروس الروض في الحلل الخضرِ
وفي الروض امسى الجلَّنار كأَنهُ ... مباخر تبرٍ عودها طيّب النشرِ
وحاكى السما لما صفا مآء جدولٍ ... وفيهِ خَيال الزَّهر كالانجم الزُهرِ

وقولهُ

زمن الورد روح جسم الزمانِ ... وحياة النفوس بنت الدنانِ
فدَعاني وأودِعاني بحانٍ ... واُلقِياني بين الحسان القِيانِ

ومن هذه القصيدة يقول

بدر تمٍّ يدير بين نجومٍ ... في هلال الكؤوس شمس القناني
في رياضٍ اروى الغِمامُ ثراها ... فتراها قد زُخرفت كالجنانِ
سيَّما والربيع حيَّاً فاحيا ... ميّت الارض بالحيا الهتانِ
وتغنت حمائم الدوح لما ... أن تجلَّت عرائس الاغصانِ
ما أُحيلَى الصبوح بين صِباحٍ ... في صباحٍ اتى ببشر التهاني
فاغتنم فرصة الزمان وبادر ... قبل تبدو نوائب الحدثانِ
ولعمري ما العمر الا زمانٌ ... يتقضَّى بفرحةٍ واماني

وقولهُ

قم في الربيع الى الرياض تجد بها زهراً يفوق بعطرهِ الزاهي الندي
وانظر الى النارنج فوق غصونهِ كنجوم تبرٍ في سمآء زمردِ

ولهُ اشعارٌ على طريقة المتصوفين منها قولهُ في وصف الكمالات الالهية مخاطباً الله عزّ وجلّ

ليس في الكون غير وجهك باقي يا بديع الصفات في الآفاقِ
لك حسنٌ يُرَى بعين معانٍ لا تراهُ الأحداق بالإحداقِ
ومعانيك ان تبدَّت عياناً سبَّح الناظرون للخلاقِ
يا رجآئي اصبحتُ في قيد دنيا يَ اسيراً فجُدْ بحلّ وثاقي
وأجِرْني من شرّ نفسٍ تلظَّت فهي نارٌ تزيد في احراقي

وقولهُ

من نحو حيّك هبَّت الارواحُ فتعرَّفت بعبيرها الارواحُ
وبمهد نشأتها انتشتِ في خمرةٍ هي من ألَسْتُ كؤوسها الاشباحُ
أزليَّةٌ أحديَّةٌ صمديَّةٌ أبديَّةٌ حاناتها الافراحُ
تصبو قلوب العاشقين لوصفها ولها نفوس الاوليا ترتاحُ
لا الشمس تحكيها ولا بدر السنى ولها شعاعٌ دونهُ المصباحُ

وقولهُ في مطلع قصيدةٍ خمرية من هذا النوع تخلَّص فيها الى مديح صاحب الرسالة

لقد اسكرتنا والانام نيامُ مدامٌ بها سرّ السرور مدامُ

ومنها

هي الشمس لولا ضآء في الكون نورها لطبّق اكناف الوجود ظلامُ

لقد حُجبت عن ذاتها بصفاتها كما حجب البدر المنير غمامُ
لها بالمنى حجي وسعي وعُمرتي وليس سواها كعبةٌ ومقامُ
ولولا طوافي كل حين بحانها لما حلّ لي بيتٌ عليّ حرامُ
وما المسجد الاقصى سوى حان قدسها وفيهِ البرايا سُجَّدٌ وقيامُ
ولولا هواها في القلوب لما شجا فؤاد المعنّى لوعةٌ وغرامُ
تحكم في الاكوان سلطان حبها ولم ينجُ منها سيدٌ وغلامُ
فكم حامَ حامٌ حول عرفان سرّها وكم سامها بين البريّة سامُ

ومن غرر مدائحهِ النبوية قولهُ

بهجة العين روضة المختارِ تنجلي في مشارق الانوارِ
حرمٌ حلّ فيهِ خير امامٍ جامع الفضل قبلة الابرارِ
اول العالمين في الخلق لكن آخر المرسلين بالانذارِ
باذخ الاصل ناسخ الجهل علماً راسخ الفضل شامخٌ في الفخارِ
مُضَرِيٌّ وأبطحيٌّ حسيبٌ قُرَشيٌّ وهاشميٌّ نزاريـ
صفوةُ الحق اشرف الخلق خلقاً نخبةٌ من سلالةٍ أخيارِ

ومن لطائفهِ في المدح قولهُ في شيخ الاسلام علآء الدين بن صدقة مقتبساً الآية القرآنية

ان العلآئي إمام العصر سيدَنا حوى نهايات اهل العلم والرسمِ
وفي الحقيقة ربّ العرش كمّلهُ «وزادهُ بسطةً في العلم والجسمِ»

وقولهُ يمدح المولى تاج الدين ابراهيم مفتي دمشق الشام (١)

---

(١) هو احد افاضل الروم المشهورين قرأ على بعض علمآء زمانهِ و برع في

يا تاج دينٍ سما بين الانام ومن   غدا مدى الدهر كهف الخائف الراجي
أهديتُ درَّ نظامي بالمديح لكم   والدرّ احسن ما يُهدى الى التاجِ

وقولهُ فيهِ يمدحهُ ويهنئهُ بالحج الشريف

نال المنى وادي منى اذ زرتهُ   ولديك وافى السعد وهو خديمُ
والبيتُ قال مهنئاً لك مرحباً   هذا المقام وانت ابراهيمُ

ونختم الكلام في شعرهِ بذكر بعض موالياتهِ اللطيفة فمنها قولهُ

اضحى يقول عذار الحبّ لما دارْ   من حول جنّه تُجنّن اعين النظّارْ
الورد قد ضاع في خدّه وانا محتارْ   واُصبحت داير على الضايع من الازهارْ

وقولهُ وقد ضمنهُ الآية القرآنية مكتفياً

ليل المُعنَّى بكم قد طال لما جنّ   والقلب نحو المنازل والحبايب حنّ
وصاح لما سكر من غير خمر الدنّ   يا من تظنوا سلوّي ان بعض الظنّ

وقولهُ

قد قـدّ قدُّ حبيبي قلبيَ الولهانْ   وقدْ وقدْ في الحشا من هجرهِ نيرانْ
لو كفّ كفكف دمعاً سحّ كالغدرانْ   بل بلبلَ البالْ لما مال كالاغصانْ

وقولهُ في مليح اسمهُ ابو بكر وفيهِ توجيه بالخلفاء الراشدين

العلوم الدينية وخصوصاً الفقه وتولى التدريس في عدة من مدارس بلاد الروم والقسطنطينية ثم عين مدرساً في المدرسة التي بناها السلطان سليمان القانوني في مدينة دمشق وفوضت اليهِ الفتوى فيها وعين لهُ كل يوم ٨٠ درهماً ودام على ذلك الى ان توفي سنة ٩٩٤ هـ (طالع ترجمته في كتاب العقد المنظوم في ذكر افاضل الروم المطبوع بهامش الجزء الثاني من وفيات الاعيان ص ١٨٢)

أفتنت بالفرق والوجنات ذا النورَينْ   وذا الفقار علي اشهرت بالجفنَينْ
وقالت الخلق ما حاوي جمال الزَينْ   الا ابو بكر مَن قد افتن الصفَّينْ

ونقف الآن عند هذا القدر من نظمهِ واما تواريخهُ الشعرية فسنعود الى ذكرها في فصل مخصوص ان شآء الله

البابا انيقيطس والاب شيخو

(تابع لما في الجزء السابق)

(٢)

بعض اغلاط وتحريفات الاب شيخو

(١) زعم اننا اخطأنا بقولنا في مقالتنا الماضية مدينة « اميسة » فقال « والصواب اميسوس » فنجيبهُ اننا قد نقلنا اسم هذه المدينة عن كتبهم (انظر الكنيسة الكاثوليكية ٢ : ٤٧٧) فان كان فيهِ غلط فهو راجع اليهم. على اننا نرى ان لا غلط فيه البتة فان حضرة الاب يعلم ان الواو والسين في قوله « اميسوس » هما علامة الرفع باليونانية وقد اجاز مشاهير كتاب العرب تعريب الاعلام اليونانية واللاتينية بعد قطع علامة الاعراب هذه كي لا يلتقي علامتان للاعراب واحدة عربية والاخرى أجنبية . ومن امثلة تلك المعرّبات قولهم قسطنطين ، سقراط ، اسكندر ، اوطيخا ، ارسطو ، هرقل ، دارا ، بدلاً من كونستنتينوس وسوكراتيوس والكسندروس وافتيشيوس وارستوتاليس وهلم جرًّا . وهنا لا يسعنا الا الثناء العاطر على سيادة العلامة المفضال المطران يوسف الدبس الشهير فانهُ حفظهُ الله قد

حافظ على هذه القاعدة في ايرادهِ اكثر الاعلام اليونانيـة واللاتينية في كتابهِ الفريد (تاريخ سورية) مقطوعة منها علامة الاعراب . ولا يخفى ان استعمال سيادتهِ حجة ترغم انف كل مكابر ومخالف لما خصهُ بهِ الله من الضلاعة في اللغة والتبحُّر في المعارف القديمة والحديثـة وطول الباع في التعريب والتصنيف . فثبت اذاً ان قولنا « مدينة اميسة » صحيح وان خطَّأنا فيهِ الاب شيخو وخطَّأ جماعتهُ معنا كما هي عادتهُ ...

(٢) ادعى اننا اخطأنا بقولنا ان البابا انيقيطس سوري مع كونهِ ولد في البنطس وهنا نستأذنهُ بان نقول انهُ حرّف قولنا ليثبت دعواهُ الفريّة . فالنا لم نصف البابا بكونهِ سوريًّا على اطلاق اللفظ بل قلنا « سوريّ المحتد ولد في آسيا الصغرى » (او البنطس كما يريد) ومعنى « المحتد » الاصل كما يمكنهُ ان يرى تفسيرهُ في معجمهم اقرب الموارد ... وهذا اللفظ بعينهِ نقلناهُ عن مجلتهم الكنيسة الكاثوليكية (٢ : ٩٠) كما صرحنا بذلك في مقالتنا الاولى في الضياء (صفحة ١٨٠ و١٨١) . على ان حضرة الاب زعم من قبل ان هذا البابا من حمص وهي العبارة التي اخذناها عليهِ وجرّت الى هذا الجدال فمن الغريب انهُ جاء الآن ينكر انهُ سوريٌّ بتاتًا ويدّعي علينا قولاً هو قائلهُ ثم ينقلب علينا بالتخطئة فيما هو المخطئ فيهِ ونحن براء منـهُ فلله درهُ ما اطول باعهُ في المناظرة بل ما اطول يراعهُ في التحريف والتزوير

(٣) زعم اننا اخطأنا بتعيين المسافة بين حمص واميسة فقال : « وبين سورية والبنطس مسافة نحو الف كيلو متر لا ٢٠٠ كما زعم الكاتب ».

(قلنا) وهنا جار حضرتهُ عن جادّة الصدق ولجأ الى التزوير والاختلاق وافساد القول جهلاً ومجازفةً فانا لم نعين المسافة بين سورية والبنطس كما زعم لان هذين الصقعين متصلان كلٌّ منهما يتاخم الآخر فليس بينهما شيء من المسافة خلافاً لزعمهِ ان بينهما نحو الف كيلومتر . ولكن المسافة التي ذكرناها هي بين حمص واميسة ولم نقل انها ٢٠٠ كيلو متر كما ادَّعى وحرَّف ولكن الذي جآء في عبارتنا انها لا تقل عن ٤٠٠ كيلومتر . على ان العبارة لا تخلو من شيء لو كان من العارفين لادرك صحتهُ فيها وهو ان ما ذكر من المسافة انما هو عدد الاميال بين هذين الموضعين لا عدد الكيلومترات وهو ما اردنا اثباتهُ فسبق وهمنا الى ذكر الكيلومتر سهواً . وبيانهُ ان مدينة حمص واقعة على ٣٤ درجة و٤٧ دقيقة من العرض وموقع اميسة على ٤٠ درجة و٣٥ دقيقة والمدينتان واقعتان على طولٍ واحد بالتقريب فيكون بينهما ٥ درجات و٤٨ دقيقة . وتقدَّر الدرجة في هذا العرض بنحو ٦٩ ميلاً فتكون المسافة المشار اليها ٤٠٠ ميل كما قررناهُ . واما بالكيلومترات فاذا حسبنا الدرجة ١١١ كيلومتراً على التقريب كانت المسافة بينهما نحو ٦٤٠ كيلومتراً لا « الف كيلومتر » كما زعم خبطاً ومجازفةً

واما ما تعطف بهِ علينا من الشتائم الجزويتية التي تدل على فضل مجلتهِ الدينية فما نترفع عن مقابلتهِ بمثلهِ لان آدابنا ليست كآدابهِ والسباب ليس من قواعدنا وعوائدنا ولا يهمنا في جانب خدمة الحقيقة ورضى الكرام عنا ذمةُ او رضاهُ . ولكننا انما نستلفت انظارهُ الكريمة الى جملة سطرها في مشرقهِ المؤرخ في ١٥ ك ١ سنة ١٩٠٣ (٦ : ١١٣٤) في

انتقاده على كتاب لاحد الآباء الفرنسيسيين وهي قوله :

« وانما يسوءنا ان نرى حضرة الكاتب في ردوده على بعض الافاضل ممّن لا يرتأون رأيه لا يراعي آداب الجدال فيكثر من العبارات القارصة في حقوقهم فان المحبة المسيحيّة تقضي على المتجادلين لا سيما اذا كانوا من « الرهبان » (كذا...) ان يؤيدوا آراءهم بالبراهين دون هذه المنازعات » انتهى . فما احسن هذه الاقوال لو انهُ عمل بموجبها وائتمر بما يأمر غيره به ولكنهُ لسوء الحظ يناقضها بسيرته وكتاباته فما احراهُ بان نخاطبهُ بقول الشاعر

فكم انت تنهى ولا تنتهي وتُسمِعُ وعظاً ولا تَسمَعُ
فيا حجر الشحذ حتى متى تسنُّ الحديدَ ولا تقطعُ

احد القرّاء بحمص

عشق الشاعر

من نظم حضرة الشاعر المجيد امين افندي الحداد

ما لهذا القلب لا يَثنيهِ نُصحُ ولهـذا الدمع لا يُفنيهِ سَحُّ
كلما خطَّ الهوى بالدمع سطراً ادركتهُ ادمعٌ للخطّ تمحو
يا بنفسي مَن بها ليلي سُهادٌ طال حتى ما لذاك الليل صبحُ
ولقد ظنّت بأن اسلو هواها وهو اثمٌ ما لهُ في الحبّ صفحُ
انها تكذبُ فيما تدّعيـهِ ولوَ انَّ الكذب في الحبّ يصحُّ
كيفَ يا هندُ وهل في الناس مثلي مَن سلا ان سلوّ الحسن قبحُ

حَسبِوا الحبَّ فسادًا وضلالاً … اخطأوا الدنيا طعامٌ وهوَ ملحُ
ولَقد اوشكَ ان ينجحَ شيئاً … عاذلي ان اسماع العذل نجحُ
ولقد أوهمتُ قلبي قد سلاها … فاذا بي ازددتُ سكراً حين اصحو
برَّح الحسنُ بمن في الحبِّ هاموا … ولقد قلَّ لذات الحسن برْحُ
انتِ يا ذات الهوى العذبِ ويامن … طاب لي السقمُ بها وهو يلحُّ
لستِ اهلاً تسترقّينَ فؤادي … وأنا حرٌّ وفي الاحرار قُحُّ
ماجدٌ تستنكر الامجادُ مني … كلَّ ما يسري بهِ لومٌ وقدحُ
ناظمُ الشعر المنقّى والمصفّى … فانا الشحرور لي في الروض صدحُ
زعم العبّاسُ (١) ان الحبَّ نخرٌ … وهو متنٌ ما لهُ في الحبِّ شرحُ
ثُمَّةَ استدركَ أن الحبَّ مزرٍ … اذ بهِ يهدَمُ للاخطار صَرْحُ
انا كالعباس او كالمتنبي (٢) … اعشق الجِدَّ وذاك الجِدُّ مزحُ
شاعرٌ ألعبُ بالقول فقيهِ … خاطري كفٌّ وذاك القول رُمحُ
امدح الشيءَ واهجوهُ جميعاً … وكذاك الشعرُ هجوٌ ثمَّ مدحُ

---

(١) هو العباس بن الاحنف القائل

وضعتُ خدي لادنى من يطيف بكم … حتى احتقرتُ وما مثلي بمحتقرِ
لا عارَ في الحب ان الحب مكرمةٌ … لكنهُ ربما ازرى بذي الخطرِ

(٢) اشارة الى قوله

اذا كان مدحٌ فالنسيب المقدمُ … اكلُّ فصيحٍ قال شعراً متيمُ

متفرقات

احصآء حركات القلب — جآء في احدى المجلات العلميـة ان القلب الذي هو بمنزلة مضخَّـة صغيرة يبلغ ارتفاعها نحو ١٥ سنتيمتراً في عرض ١٠ ينبض ٧٠ مرة في الدقيقة و٤٢٠٠ مرة في الساعة و١٠٠٨٠٠ مرة في اليوم و ٣٦٧٩٢ الف مرة في السنة و ٢٥٧٥٤٤٠ الف مرة في سبعين سنة وهي المقدار المعدَّل لحياة الانسان

وفي كل واحدة من هذه النبضات يكون متوسط ما يقذفهُ من الدم مئة غرام فيقذف في الدقيقة ٧ ألتار وفي الساعـة ٤٢٠ لتراً وفي اليوم عشرة اوساق (وهي نحو ٨٠٠٠ اقة)

وكل الدم ومقدارهُ نحو ٢٨ ليبرة يمرّ في كل دقيقتين او ثلاث دقائق مرة في القلب ثم يتوزع في سائر الجسم فيكون مقدار ما توزعهُ هذه المضخَّة العجيبة من الدم في مدة السبعين السنة المذكورة ما يعدل ٢٥٠ الف متر مكعَّب

ويصدر عن هذا العضو الصغير كل يوم من القوة ما يكفي لرفع ٤٦ وسقاً الى علوّ متر

اغرب تجارة في القصدير — تكاثر الطلاق في السنين الاخيرة في الولايات المتحدة الاميركانية حتى صار الزوجان اذا اتمَّا عشر سنوات صنعا لذلك عيداً . وقد كثرت هذه الاعياد جدًّا في الولايات المذكورة ومن

عادتهم فيها ان يتهادى الزوجان واقرباؤهما واصدقاؤهما قطعاً مضروبة للتذكار من معدن القصدير حتى ان المحل من المحلات التي تبيع هذه القطع لا يكون مقدار ما يبيعهُ بأقل من مليون فرنك في الشهر . وقد ارتفع ثمن المبيع منها في سنة ١٩٠٣ حتى بلغ ٤٠ مليون فرنك

التبليط بالورق — سجَّل بعض الانكليز اختراعاً جديداً لصنع بلاط يُتَّخَذ من عجينةٍ من الجرائد العتيقة والصلصال (طين الخزف) فاذا جفَّ صُبَّ عليهِ مزيج من الزيت والحمَر ثم ضُغِط . وهذا البلاط غير مزُلِق وهو يخفت اصوات دواليب العربات ولا ينتشر عنهُ غبار

مبيع بركان — ابتاعت احدى الشركات الغنية في اميركا من حكومة المكسيك البركان المسمى پُوپُوكاتبتْل بمبلغ خمسة وعشرين مليوناً من الفرنكات وذلك بقصد ان تستخرج منهُ الكبريت . وارتفاع هذا البركان يبلغ ٥٤٢٠ متراً وستنشئ الشركة عليه سكة حديدية مسنَّنة

اسئلة واجوبتها

سان پول (البرازيل) — حدث في هذه الايام في احدى القرى من ملحقات هذه الحاضرة ان بغلةً ولدت مهراً فكان لذلك دهشةٌ عند كل من سمع بهِ وقد اخذ بعض المصوّرين صورة البغلة وولدها وهي عندي الآن وقد اخبرني صديقٌ يسكن تلك القرية انهُ شاهدهما عياناً وان المهر قوي

البنية . وكنت قد قرأت في بعض مؤلفات داروين ان مثل ذلك يقع احياناً واورد عليهِ شواهد يقينية فما قولكم في ذلك انطونيوس يافث

الجواب – المشهور ان البغلة لا تلد لكن جآء في كلام بعض الباحثين انها قد تحمل في النادر من الحمار او الحصان وحينئذٍ يكون النتاج اقرب الى نوع الاب وربما تكرر ذلك في الاعقاب حتى يتمحض النسل الى احد الجانبين . على ان هذا غير محقق الى غايةٍ يصح القطع بها فان عامَّة العلمآء ينكرون حدوثهُ وقد سبق لنا فصلٌ في ذلك في مجلد السنة الثانية (صفحة ٢٦٩ وما يليها) اثبتنا فيهِ اشهر الاقوال المحدثة فعليكم بمراجعتهِ وان امكنكم بعد مطالعة الفصل المذكور معرفة تاريخ البغلة على وجه يقيني نؤمل تعريفنا ما تقفون عليهِ خدمةً للعلم ولكم منا الشكر مقدَّماً

آثار ادبيَّة

نسمات الصَبا في منظومات الصِبا — هو عنوان ديوانٍ لطيف من نظم حضرة الفتى الاديب جرجي افندي شاهين عطية اللبناني يتضمن كل رقيقٍ من الشعر في اغراضٍ شتى بين مديح ورثآء وتشبيب ووصف وادب وغير ذلك وهو حسن السبك جامعٌ بين سلاسة الالفاظ وانسجام التراكيب مما يدل على ان الناظم سيكون من شعرآئنا المجيدين . فنهنئهُ بما اوتي من جودة القريحة واستعداد الطبع وان كنا لا نشير عليهِ ان يتعاطى هذه الصناعة لما فيها من الاشتغال عما يفيد بما لا يفيد

فكاهات

بسالة الحب (١)

ما برحت الدولة الروسية طامحة بابصارها الى الاستيلآء على القارة الآسوية باسرها بعد ان امتلكت ما يقارب نصف مساحتها في الجهات الشمالية منها٠ وكانت منذ وجد فيها هذا الميل لا تألو جهداً في درس جغرافيــة تلك القارة والبحث عن المواقع السهلة لتمد فيها خطوطها الحديدية الى المراكز المهمة التي تصبو الى الحصول عليها ٠ وحدث من بضع سنوات ان ارسلت الحكومة قائداً خبيراً يدعى فورونوف وزودتهُ بما يلزم من المهمات والاوامر وفرضت عليهِ اجتياز سيبيريا من الغرب الى الشرق حتى اذا قضى هذه الرحلة يرفع الى جلالة القيصر تقريراً عما يبدو لهُ وعن الخطة التي يراها اسهل منالاً واوفق موقعاً لجعلها طريقاً للجنود الروسية اذا زحفت يوماً الى جهات كوريا وشمالي الصين

وكان الجنرالــ فورونوف في مقتبل العمر ذا بنية قوية وعزيمة ثابتة وهمة لا تزعزعها الصعوبات فلما صدر اليــهِ امر القيصر اسرع فارصد معدات السفر وغادر عاصمة بلادهِ حاثاً السير في المهمة التي فوضت اليــهِ غير مبال بما دون غايتهِ من العراقيل والعقبــات ٠ وما بلغ الحــدود السيبيرية حتى هلك عدد من رجالهِ من شدة البرد وتراكم الثلوج وزيادة التعب والكلال ٠ وكثيراً ما كانت تنفصل فدر الجليد عن قمم جبال اورال فيراها تهوي من اعلى تلك القمم نتهدده وجماعتهُ بالموت الزؤام ويسمع دويها وفرقعة قطعها المتكسرة فلم يكن ذلك ليثنيهُ عن مواصلة المسير في تلك الارض بل لم يزد قلبهُ الا جرأةً واقداماً ٠ ولما شعر من رجالهِ بشدة التعب وظن انهم لا يقدرون مثله على اقتحام تلك المسالك كان يقوم صباحاً

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

وهم نيام فيتفقد تلك النواحي حتى يرى اسهل الطرق عليهم فيعود اليهم ويقودهم فيها وهو يرسم خرائط سيره ويتخذ المذكرات اللازمة لبعثته

وحدث ذات يوم انهُ نهض صباحاً كعادتهِ عند انبثاق نور النهار وسار على تلك الثلوج وكان النور قد وقع على السهل المنبسط المكسو بالثلج فخيل للجنرال انهُ يرى بيوتاً امامهُ فوجه خطاه اليها وكان كلما اقترب في سيره الى تلك الجهة ابتعد ما يراه بيوتاً حتى ادرك اخيراً انهُ في خطأ وان ما يراه لم يكن الا من انعكاس النور على صفائح الجليد فرجع الى رجالهِ . وبينما هو سائر رأى بالقرب منهُ شيئاً اسود ملقى على الارض ولاحراك بهِ فظنهُ بعض الوحوش التي تكثر في تلك الاصقاع وانهُ ميت لعدم القوت او لسبب آخر واوشك ان يتجاوزه . ولكنهُ عاد فافتكر انهُ لا بأس من سلخ جلده فربما احتاج بعض رجالهِ اليهِ وللحال سدد خطواتهِ نحو ذلك الشبح فبلغهُ في دقائق قليلة . ولكنهُ زاد استغرابهُ اضعافاً حين وجد ان ما رآه لم يكن وحشاً برياً بل هو اشبه بشخص انسان ملتف في الفرآء الكثيفة ولحظ انهُ لم يسقط هناك من زمن طويل لان الثلج لم يطمر منهُ الا قسماً يسيراً . فوقف يفكر في كيفية وجود هذا الانسان هناك وحده وكيف وصل الى تلك الارض ثم خطر لهُ انهُ ربما كانت فيهِ بقية رمق وان رده الى الحياة متوقف على الاسراع في تداركه قبل ان يلفظ النفس الاخير وللحال دنا من ذلك الجسم وجعل يجرف بيديهِ الثلج المتجمد على جانبهِ ثم استعان بقوتهِ فرفع ذلك الدثار الغليظ ودثاراً آخر تحتهُ فبان لهُ جسم فتاة بقد رشيق وخلق بديع ووجه كاجمل ما نحت المصورون غير انهُ فاقد اللون الطبيعي وقد ابيضَّ فاصبح كلون الثلج المحيط بهِ

وكان فورونوف من اثبت الناس جناناً فانهُ طالما تلقى ظبي السيوف بصدره ودوت اصوات البنادق في اذنيهِ وهو يترنح طرباً كأنهُ في مقصف او ناد غير انهُ ما وقع نظره على وجه تلك الفتاة حتى شعر برعشة اصابتهُ وطفح الدم الى وجنتيهِ وشعر بوجل تملكه رغماً عنهُ . ثم تمالك فجثا على ركبتهِ امام تلك المسكينة واخذ يدها كأنهُ يود ان يستطلع تلك المائتة عن حالها ثم اكب يفحص جسمها بكل دقة

واعتنآء فوجد ان ظنهُ كان في محله وانهُ لا يزال فيها بقية من الحياة • فسر جداً واخرج من جيبهِ زجاجةً افرغ منها في فم الفتاة شيئاً ثم عاد بكل قدرتهِ يفرك جسمها واستمرَّ على ذلك نحو نصف ساعة فرأى ان الدم بدأ يعود الى وجه الفتاة شيئاً فشيئاً حتى اصطبغت وجنتاها بلون الورد ثم فتحت عينيها فبانت زرقتهما وحدقت قليلاً في القائد فتبسمت ثم عادت الى سباتها

وكان فورونوف معتاداً مشاهدة مثل تلك الحوادث لكثرة اجتيازه الجهات المتجمدة وقد اكتسب خبرة كافية لمداواة من يجده في مثل تلك الحالة فلم يجزع ولم يؤخر شيئاً في استطاعتهِ الا فعله حتى عادت الفتاة الى تمام رشدها وحاولت القيام فأخذ بيدها ولما وقفت ارادت ان تشكره فقال دعي ذلك الى وقت آخر اما الآن فسيري معي واياك ان تتوقفي • ثم اخذ يجري بها وهي تجري معهُ حتى بلغا المحل الذي فيهِ رجالهُ فاستغربوا عودتهُ مع هذه الفتاة فاخبرهم بامرها • فبادر كل منهم لمساعدتها بما تحتاج اليهِ من طعام وتدفئة حتى عادت الى سابق قوتها

وتابعت تلك البعثة مسيرها وكانت الفتاة تسير بحذآء القائد فقال لها اما الآن وقد عدت الى تمام قوتك فلا مانع من سرد حديثك وكيفية وجودك وحيدة في هذه الاصقاع أفأنت من المنفيين وقد هربتِ وحاولت الرجوع الى الوطن • فقالت الفتاة وقد ارتعش جسمها عند ذكر المنفى كلا يا مولاي بل انا طليقة في وطني وقد جئت بتمام رغبتي لازج بنفسي في هذه الاماكن التي يدعوها الناس منفى وادعوها انا سجن الابرار • ورأت علامات الاستغراب على وجه الجنرال فقالت لا اشك انك تستغرب حديثي الآن ولكنك متى اطلعت على خبري توافقني على هذا القول وها انا اقص عليك الامر واقسم لك بشرفي انني لا اقول سوى الحقيقة

انني من اسرة غير دنيئة في بطرسبرج واسمي ماريا نوزوفسكي ماتت والدتي وانا صغيرة ومات والدي من مدة يسيرة وترك لي املاكاً واسعة ولم يكن لهُ سواي فلبثت وحدي في بيت والديَّ وسلمت الاملاك الى وكيل امين • وان نوافذ بيتنا تطل على حديقة فسيحة جميلة فيها جميع اصناف الورود والرياحين وهي خاصة

بجلالة القيصر ينتابها حيناً بعد آخر للنزهة ولذلك كان يوجد في تلك الحديقة عند كل منعطف جندي بسلاحهِ الكامل للحراسة والمحافظة . واتفق ان كنت يوماً في النافذة وحانت مني نظرة الى الحديقة فرأيت جندياً برتبة ملازم قد فوّضت اليهِ حراسة القسم المقابل لبيتنا . وهو فتى في شرخ الشبيبة حسن المنظر جميل الوجه قوي البنية واسع الصدر ولكنهُ كان مطرقاً بعينيهِ الى الارض وعلى وجههِ دلائل الغم والانقباض . فتأثرت جداً من مرآه ووقفت حيناً انظر اليهِ فزاد بي التأثر ولم اشعر الا ودموعي قد ترقرقت من مآقيَّ فمسحتها بمنديلي . وكان في تلك اللحظة ان رفع الجندي نظره الى جهة النافذة فرآني وكأنهُ اصابهُ ما اصابني فلم يعد يحول نظره عني . وخجلت انا من ذلك الموقف فرجعت الى داخل الغرفة وغبت فيها نحواً من ساعة كانت عليَّ اطول من سنة ثم عدت الى النافذة فوجدتهُ في مكانهِ لا يزال ناظراً الى جهتي . ولما وقع نظري عليهِ حنى رأسهُ مسلماً فلم اتمالك ان رددت لهُ التحية واصبحنا من ذلك الحين ننتظر الموعد يومياً لنتقابل ونشاهد بعضنا بعضاً فتدرجنا من النظر الى السلام ثم الى الكلام بالاشارة واخيراً الى المكاتبة فعلمت ان الفتى مثلي لا ام لهُ ولا اب وان ما رأيتهُ فيهِ من دلائل الانكسار والحزن لم يكن الا لشعوره بكونهِ وحيداً في العالم ليس لهُ من يسأل عنهُ فما كان ذلك الا ليزيد ولعي بهِ وانعطافي اليهِ . وانتهى الامر بان اتفقنا على المحبة والولآء ووعدتهُ بان اهبهُ حياتي ما دام لي في الوجود بقية . وفي ذات يوم كان حبيبي واسمهُ جورج يخاطبني من مركزه فمرَّ رئيسهُ ورآنا فظنني من بنات الهوى وحاول ان يتخذ الحرية معي في مكالمتي فلما اظهرت لهُ الجفآء عمد الى الايقاع بي وبحبيبي ولم يلبث ان تمكن من الحصول على امر بنفيهِ الى سيبيريا ظلماً وعدواناً وقد اتهمهُ انهُ يكيد لحياة القيصر . فقادوا ذلك المسكين الى منفاه وقد اسروا معهُ قلبي وعواطفي فبقيت اياماً لا اذوق القوت ولا عمل لي سوى البكآء والنحيب حتى بلغني انهُ وصل الى منفاه وكان ذلك بالقرب من بلدة اركوتسك في سيبيريا . فما علمت ذلك حتى طارت نفسي شعاعاً وصممت للحال ان الحق بهِ فاخفف عنهُ وأؤسيهِ ولا سيما وانا السبب

في ابعاده عن وطنهِ الى تلك الديار المقفرة وتحميله كل هذه المشقـة • واذ ذاك ارصدت المعدات اللازمة لي في هذا السفر الصعب واخذت مبلغاً من النقود يضمن لي السفر براحـة وابتعت الثياب اللازمة لمقاومة البرد والثلج وزايلت بطرسبرج متكلةً على الله ووجهتي اركوتسك فكنت كلما بلغت بلدة اسأل عن البلدة التي بعدها واستدل على طريقهـا واسير وانا لا انيس لي سوى الامل ولا رفيق سوى الفكر بقرب ملتقى الحبيب • وما زلت اتابع مسيري حتى بلغت هذا المكان وقد فرغ مني الزاد وتهت عن الطريق ولكنني خشيت ان يدركني الظلام فاجهدت قواي غير انهـا خارت بالرغم عني فسقطت الى الارض ولم اعد أعي شيئاً الى ان ادركتني ورددت اليَّ الحياة بفضل الله وعنايتك فلك الشكر

وكان القائد فورونوف يسمع حديث ماريا وهو يستغرب همتها وجرأتها ثم قال لها انني سأمر في طريقي على اركوتسك فلست بتاركك الى ان اوصلك الى حبيبك وعسى ان اراه كما يستحق ان يكون حبيب فتاة نظيرك • و بقيت ماريا في رفقة فورونوف ورجالهِ الى ان بلغوا مدينة اركوتسك فكان اول اهتمام القائد ان سأل عن محل وجود جورج واوصل ماريا اليهِ فكانت الساعة التي تقابل فيها الحبيبان من اشد ما اثر على فؤاد القائد • ولبث فورونوف ساعة مع جورج يحادثهُ فألفاه فتى حاد الذهن متوقد الخاطر فاعجبهُ الى الغاية ووعد ماريا بانهُ يسعى في اول فرصة ممكنة لخلاص حبيبها من ذلك الاسر واعادتهِ اليها ليعيشا معاً بالرغد والسرور ثم ودعهما وسار برجالهِ متتبعاً طريقهُ

و بعد ما قضى فورونوف مهمته عاد الى عاصمة الروس وقدم التقارير عما ارتآه في سياحتهِ فاستحسنت نظارة الحربية الخطة التي رسمها لها واعطتهُ الاوامر والنفقات اللازمة وفوضت اليهِ مد الخط الحديدي بحسب الرسم الذي رفعهُ اليها

ولما تعكرت كأس السلم بين الروسية واليابان في هذا العام ورأت دولة القيصر انهُ لا مندوحـة عن ارسال جنودها الى تلك الاصقاع باسرع ما يمكن الحت على فورونوف في انجاز الخط واضطره الالحاح ان يختصر ما امكن من المسافة التي كان

قد عينها في قراره الاول وان يمد الخطوط الحديدية فوق بحيرة بيكال بالنفس • ولما كان في حاجة الى العمال طلب الى القيصر ان يمده بالرجال فأمر بان يعفى عن المنفيين في سيبيريا وان يتخذوهم للمساعدة في الحرب • فلما بلغت فورونوف هذه الاوامر ذكر ماريا وحبيبها جورج وصمم على الاتيان بهما الى معسكره والانتفاع بمساعدة جورج خصوصاً

وانفذ القائد قصده فاتى بجورج وماريا الى حيث كان هو ورجالهُ فشعر الاثنان انهما قد بلغا اوج السعادة والسرور بخلاصهما من المنفى ومجيئهما الى ذلك المكان وشعورهما انهما يتنعمان بهوآء الحرية وفوّض القائد الى جورج قسماً من العمل فكان يدأب فيهِ بكل قوتهِ اكراماً للجنرال ومقابلةً لفضله عليهِ في تخليصهِ من النفي • وكانت الاوامر مشددةً بسرعة العمل فكان جورج لا يهدأ ليلاً ونهاراً الا اوقاتاً قصيرة للراحة يرى فيها حبيبتهُ ماريا تبذل وسعها في تخفيف همهِ وتعبهِ بكلماتها العذبة ومعاملتها اللطيفة كما كانت تفعل في اركوتسك • ورأى فورونوف تفاني جورج في العمل فوعده انهُ اذا انقضى ذلك العمل العظيم على ما يرام فانهُ يمنحهُ حريتهُ ليعود الى روسيا ويقترن بذلك الملك الطاهر فزاد هذا الوعد الامل في صدر جورج وحبيبتهِ وباتا يعللان النفس بالسعادة والهنآء • وكان العمل يتقدم بسرعة واشتد البرد فجمدت البحيرة على عمق بضعة امتار وكانت الخطوط تمد عليها كما تمد على اليبس وقد عين فورونوف يوماً لنجاز العمل بتمامهِ ووعد الحكومة انهُ يضمن نقل المؤن والذخائر والجنود في ذلك اليوم • وكان جلّ اعتماده في هذا الوعد على همتهِ التي لا تعرف الكلال وعلى ما رآه في رجالهِ من الحمية والنشاط

وفي ذات يوم عاد جورج الى قيلولتهِ حسب العادة فوجد ماريا حزينة النفس فقال ما لك ايتها الحبيبة فقالت اني قد رأيت هنا الضابط مكسيموف الذي كان السبب في نفيك وجر هذه الوبال علينا وقد ناجتني نفسي بقرب حدوث ما لا نحبهُ ولذا تراني كئيبة القلب حزينة النفس فاضرع اليهِ تعالى ان يقينا شر هذا الوحش الضاري • فتبسم جورج وقال خفي عنك ايتها العزيزة فانهُ لم يبق امامنا سوى

يومين لانهُ في اليوم الثالث يجب ان تمر الجنود على هذا الخط كما وعد صديقنا القائد • وقد علمتِ انهُ وعدنا بان تعطى لنا الحرية ونعود الى روسيا فكما قضينا تلك السنوات تقضي هذه الايام الثلاثة وبعدها الفرج باذن الله • قالت أسأل الله ان يقرب نهايتها على خير ويريح ضميري فانهُ منذ وقع نظري على هذا الشرير لم ازل في خوف داخلي لا ادري لهُ سبباً • وبعد ان قضى جورج حصة مع حبيبتهِ عاد الى العمل وهو يود لو كان لهُ مئات من الايدي ليسرع في انجازه • وبينما كان في اليوم الثاني يعطي الاوامر للعملة الذين تحت عهدتهِ ويساعدهم في نقل القضبان الحديدية ووضعها في اماكنها شعر بيد قبضت على ذراعهِ • فنظر واذا بالضابط مكسيموف نفسهِ امامهُ فصعد الدم الى وجه جورج وخطر لهُ لاول وهلة ان يبطش بهِ ولكنهُ امسك غيظهُ وقال لهُ ماذا تريد يا هذا • فقال الضابط اراك قد عدت من منفاك ودلائل السرور على وجهك فلا تطمع في الخلاص فاني ساسعى في ارجاعك اليهِ متى انقضى عملك هنا • فقال جورج انني الآن والحمد لله تحت اوامر من هو اعظم منك وادرى بما انا عليهِ فلا تغيره وشاية واش ولا افساد مفسد فافعل ما بدا لك • فقال مكسيموف سترى ايها الجبان جزآءك على خطف تلك العاهرة من بين ذويها لتجعلها حظيةً لك وللقائد فورونوف الذي انما يعدك بالانعام اكراماً لها • وكانت هذه الكلمات كعقرب لدغت صدر جورج ولم يطق احتمالها فارتعش جسمهُ كأنهُ قد مسهُ مجرى كهربآئي ولم يتمالك ان وثب وصفع الضابط بلطمة ألقتهُ على الارض • ولما نهض الضابط قال ليس هذا محل اقتصاصي منك ولا اكتفي بان اقابل صنيعك بمثله ولكن بيني وبينك المبارزة بالسلاح في هذه الليلة فاما ان تجهز عليَّ وتتمم ما ابتدأت بفعله او ان اقتص منك بما يستحقهُ الخائن الغادر نظيرك • فقال جورج انا وما تريد ايها اللئيم فاختر الساعة والسلاح كما تحب واعلمني بما تقرره ولا تؤخرني الآن عن انجاز عملي

وكان جورج يضاعف همتهُ لانجاز الخط الذي وكل الى عهدتهِ ليصله بالخط الآخر ولم يكن باقياً عليهِ منهُ الا القليل • غير انهُ عرض لهُ عائق لم يكن في حسبانهِ

فان الجليد في تلك البقعة كان غير مستكمل الجمود فكانت تتكسر منهُ القطع الكبيرة وتغوص تحتهم الى اعماق البحيرة • فشق هذا الامر الغير المنتظر على جورج وعمد الى ربط الخطوط باسلاك وثيقة من الجانبين تضمن متانتها غير انهُ وجد هذا العمل صعباً يستغرق من الوقت اكثر مما بقي لهُ فعزم ان لا ينام في تلك الليلة ويواصل العمل مع رجالهِ الى الصباح • ولما جاء موعد مقابلته لحبيبتهِ في المساء اسرع اليها فرأت اضطرابهُ واقلقتها حالتهُ فسألتهُ عما جرى فأخبرها بالواقع • ثم تأوَّه وقال انهُ لا بد لي من مقابلة مكسيموف للبراز لئلا يقال اني جبان استولى عليَّ الخوف من هذا الوغد ولكنني اعلم ان الدقائق التي ساتأخر فيها معهُ لا اتمكن من تعويضها فلا يتسنى لي اتمام الخط في الصباح فاخلف وعدي مع الجنرال واجعلهُ كاذباً لدى الحكومة ويتوقف سير الجنود ونخسر نحن السعادة التي وعدنا بها فورونوف فضلاً عن الاضرار التي تنجم من عدم اجتياز العساكر في الميعاد المحدد • فآه آه من لي بمن يطلع هذا اللئيم على كل ذلك ويسألهُ ان يمهلني الى الغد فقط • ثم رجع فقال ولكن لو سألتهُ ذلك لاعتقد اني خائف منهُ وما انا ممن يسمحون لمثل هذا اللئيم بان يظن بي مثل هذا الظن فكيف العمل

وكانت ماريا تسمع وتشاهد التأثر البادي على وجه حبيبها فقالت لهُ ومتى يكون موعد المبارزة وعلى اي سلاح اتفقتما • قال موعدها نصف الليل والملتقى في الجهة الشرقية من المعسكر ومسافة الطريق فقط تستغرق نحو نصف ساعة • اما المبارزة فستكون بالخناجر لاننا صممنا ان يموت احدنا لا محالة • فقالت خفف عنك يا جورج واذهب الى عملك مصحوباً بدعائي ولا تهتم بامر البراز فانني ساقصد مكسيموف بنفسي واسألهُ ان يؤخر ذلك الى الغد ولا اشك في انهُ يقبل سؤالي لاني اعتقد انهُ يميل اليَّ فلا يرفض طلبي • فقطب جورج حاجبيهِ وقال لا اني لا اريد ان يتوسل ملاك نظيرك الى شيطان نظيره • قالت لا طريقة لنا سوى هذه ايها الحبيب والانسان يضطر عند الحاجة الى فعل ما لا يرتضيهِ فبربك اسمح لي ان افعل فاذا اقنعتهُ بتأجيل المبارزة عدت اليك واعلمتك فلا تكون خسرت

شيئاً من الوقت واذا أصر رجعت واخبرتك ايضاً وتركنا التقادير تجري في مجراها ٠ وأطالت ماريا في الالحاح على جورج حتى قبل اخيراً فقبلها شاكراً وعاد الى عمله مسرعاً

اما ماريا فدخلت الى خيمتها وخلعت ثيابها وارتدت ثوباً من ألبسة جورج ثم تقلدت في منطقتها خنجراً ماضياً وسارت في جنح الليل مهتدية بالنور المنبعث من بياض الثلج الى ان بلغت المحل الذي وصفهُ لها جورج ٠ وما كادت تصل حتى رأت شبحاً يقترب من الجهة الاخرى فارتعش جسمها وتمتمت قائلةً اللهمَّ شجعني وشدد يدي ٠ وكان القادم مكسيموف فاتى حتى حاذاها وهو يظنها جورج ثم ألقى بخنجره الى الارض امامها ففعلت هي نظيره ورجع الاثنان خطوتين الى الورآء ٠ ثم قال مكسيموف ساصفق بيدي ثلاثاً فيسرع كل منا الى التقاط الخنجر الذي يتمكن من التقاطهِ ويغمده في صدر عدوه ٠ فلم تجب ماريا بشيء فكان سكوتها علامة القبول ٠ ثم صفق مكسيموف كما قال وما كاد يتم الصفقة الثالثة حتى اسرع كل واحد منهما لالتقاط احد الخنجرين واندفع من صدر ماريا بالرغم عنها هذه الكلمات فقالت شدد يا رب ساعدي ٠ وسمع مكسيموف صوتها فاجفل لتحققهِ ان ذلك غير صوت جورج وتوقف لحظةً كانت ماريا قد اسرعت في اثنائها فاغمدت الخنجر في صدر مكسيموف فدخل فيهِ الى المقبض ٠ ولكنهُ كان قد ادرك حالتهُ وطعنها هو ايضاً فجآءت الضربة في ذراعها وجرحها جرحاً بليغاً ٠ اما مكسيموف فسقط الى الارض وهو يجود بنفسهِ وقال آه يا غادر انك خشيت بأسي فاستأجرت من هو اقوى منك ليبارزني فليلحقك العار الى الابد وليرتسم على وجهك اللعين ختم الجبن والخيانة ٠ فقالت ماريا ليس الخائن والجبان غيرك وقد انتصف الله منك ايها الظالم بما جلبتهُ على البريء جورج بيد حبيبتهِ وهي ليست الا فتاة ٠ وعرف مكسيموف اذ ذاك قاتلته فانتفض وحاول ان ينهض فلم يقدر وكان الدم يتدفق بغزارة من صدره وفمهِ فقال ملعونة انتِ وملعون ٠٠٠ ولم يستطع اتمام كلامهِ فلفظ روحهُ ونهاية اللعنة على شفتيهِ

واخذت ماريا منديلاً من جيبها فطوقت بهِ ذراعها وعادت مسرعة الى حيث كان حبيبها فلم يعرفها حتى دنت منهُ وكان يعمل بمنتهى القوة البشرية فرأت انهُ يكاد يتم العمل ويفي بوعده • فقالت كن براحة ايها الحبيب فقد قبل مكسيموف ان يؤخر البراز فلن يبارزك الليلة • فتنفس جورج الصعداء وقال بارك الله فيكِ ايها الملاك الطاهر و بشير الخير ولكن ما الذي دعاكِ الى ارتداء لباسي • قالت خشيت ان قدمت الى ما بين رجالك بلباس امرأة ان استوقفهم عن العمل فتزييت بزي الرجال لكي لا يهتم احد بامري ولعلي اتمكن من مساعدتكم

وكانت الايدي تجد في العمل حتى يخيل للناظر ان طائفة من الجن تشتغل في تلك البقعة لا شرذمة من الرجال • وما انبثق الفجر حتى رأى جورج ورجالهُ القائد فورونوف قادماً اليهم وكانوا قد اتموا تركيب آخر قطعة من الخط واكملوا عملهم فصاحوا جميعاً بفم واحد ليحيي القيصر ليحيي فورونوف لتحيي روسيا • واثر المشهد في القائد فضم جورج الى صدره وقبلهُ وحاول ان يقول شيئاً فخنقتهُ عبرات السرور

ونظر جورج الى ما حولهُ فلم يجد ماريا فظنها قد عادت الى الخيمة ولكنهُ ما تم ان وقع نظره عليها ملقاة الى جانب مغشياً عليها فطار رشده واسرع لمعالجتها حتى افاقت وكان الدم النازف من جرحها وما قاستهُ من التعب قد اضعفاها • ورأى جورج الدم على ملابسها فتعجب وسألها عن ذلك فحاولت الانكار واخيراً اعلمتهُ بالواقع فكاد يفقد عقلهُ واطلع القائد على ما حصل فتأثر هذا ايضاً ثم امر طبيبهُ الخاص ان يعالج ماريا حتى شفيت فزودها وخطيبها الشكر والدعاء وكتب لجورج توصيات عديدة وامر لهما بالرجوع الى روسيا ليقترنا و يعيشا سعيدين • ودفع القائد الى ماريا مبلغاً من المال وقال هذا ما يمكنني تقديمهُ لك ليكون هدية اكليلك فقالت اقبلهُ منك بالشكر وارجعهُ اليك تقدمةً مني لمساعدة الجنود الذين يخوضون غمار الموت في هذه الحرب • فزاد سرور القائد منها وودعهما كما يودع الاب بنيهِ فانطلقا راجعين الى الوطن وهما يودعان الشقاء و يستبشران بالسعادة والرخاء